

المعيشة ، وكيف كانت علاقات البيت والزواج إلى جانب علاقات الجنسين في الحياة العامة ، وكيف كانت عواطفهم القويمة وعواطفهم المنحرفة بين عهود الفطرة وعهود الترف وعهود الاختلاط بالأمم الأجنبية . ولا يطلب من فن من فنون الشعر في اللغة العربية أو سواها أن يصور لنا العالم الذي يشيع بين أبنائه تصويراً أصدق من هذا التعبير .

\* \* \*

ومن لم يفهم من شعر الرثاء في اللغة العربية إلا أنه شعر بكاء ينتهي بانتهاء مأتمه فليس له أن يتصدى لفهم أدب ولا أن يستخلص أحوال الناس عامة من أقوال الشعراء أو أقوال المؤرخين . فنحن قد ننسى أسماء الموتى المبكين في دواوين شعرائنا الأقدمين ثم نخرج منها بالفائدة الأدبية والفائدة الاجتماعية التي تستفاد من كلام جدير بالاطلاع عليه كيفما كان .

فن هذا الشعر نتبين قيم الحياة الفانية وقيم الحياة الباقية عند ناظميه والمستمعين إليه ، ومنه نتبين عواطف الحزن ودواعيه التي تنم عن مآثر الأموات والأحياء ، ومنه نتبين كل خلق يتجلى في موقف الفراق الأخير ويحمده الناس في مقام العزاء والوفاء ، ولا نتبين دلالة الرثاء العربي على « الحياة العربية » من شيء كما نتبين من تخصصه بالناطقين بالفضاد وقلة المشابهة بينه وبين أشعار الأمم في رثاء موتاها ، وإن كان الموت قضاء على الأحياء في كل أمة وكل لسان .